1991/1/3

خفوت نجم عرفات مع قيادته لشعبه نحو الهاوية

التايمز، 3 **يناير** 1991

دكتور عمر الحسن

يمكن أن تكون عملية خفوت نجم زعيم عملية طويلة من حيث الحدوث، بحيث تكون بمثابة فترة قاسية من الانحدار بدايتها غير واضحة لكن نهايتها مؤكدة، أو من الممكن أن تكون مؤلمة ومفاجئة بشكل واضح؛ وذلك عندما يصدر قرار خاطئ يكون من الصعب التغاضي عن آثاره. ويقع مصير ياسر عرفات ـ زعيم منظمة التحرير الفلسطينية لأكثر من 20 عامًا ـ في الفئة الثانية من فئتي خفوت نجم الزعماء أو تراجع نفوذهم، فبغض النظر عن النجاحات والإخفاقات في حياته العملية أصبحت قيادته لمنظمة التحرير الفلسطينية في المحك بمجرد عدم قيامه بشجب الرئيس صدام حسين بعد غزو الكويت في الثاني من أغسطس.

لقد أساء زعيم الفلسطينيين التقدير بشكل خطير، وقد وقع الخطأ التكتيكي الذي أدى إلى قيامه بربط مصيره بمصير صدام في الوقت الذي أظهر كل مؤشر أن القيام بذلك سوف يكون من غير الحكمة من الناحية السياسية.

لقد بدأت المملكة المتحدة والولايات المتحدة بعد تأييد صدام طوال الحرب الإيرانية ـ العراقية في أن تنأيا بنفسيهما بعيدًا عن صدام بشكل تدريجي خلال عامين بعد توقف الحرب عام 1988، ففي بريطانيا كانت أخبار إعدام "فرزاد بازوفت" الذي كان من المنتسبين للأوبزرفر عام 1990، وفضيحة شراء العراق منصات صواريخ متقدمة من إيطاليا والتي طفت للسطح في نفس العام، والتقارير الأكثر وضوحًا حول استخدام صدام للأسلحة الكميائية ضد الأكراد كلها تشير إلى أن تكون قوة دفع ضد الزعيم العراقي.

لقد وفَّر الغزو العراقي للكويت فرصة نادرة لعرفات، كان من الممكن أن تمكنه من الاستفادة من التأييد الدولي للفلسطينيين الذي نما بشكل اضطراري منذ بداية الانتفاضة عام 1987، ورغم غارة القوارب الفاشلة التي خطط لها أبو عباس على تل أبيب العام الماضي، والتي وأدت العلاقات الدبلوماسية بين منظمة التحرير الفلسطينية والولايات المتحدة في مهدها، إلا أن المنظمة كانت تتحرك نحو موقف للتفاوض على المستوى الدولي.

لقد كان من الواجب على منظمة التحرير الفلسطينية التي تمثل الشعب الفلسطيني، أن تصوت مع الجامعة العربية في شجب الغزو العراقي وضم الكويت للعراق وذلك لتظهر إنها تعارض نوعية العدوان الذي ناضلت ضده لأكثر من 20 عامًا.

وبالتالي وفِّر غزو الكويت لقيادة منظمة التحرير الفلسطينية أرضية أخلاقية وسياسية جيدة، وكان من الممكن قيامها بشجب غزو الكويت كما عارضت احتلال أراضيها، وبتأييد من السعودية ودول الخليج كان من الممكن ممارسة أكبر ضغط حتى وقوع الغزو على الأمريكيين لضمان قيامهم بتوجيه

أقصى طاقة ممكنة لتطبيق قرارات الأمم المتحدة فيما يتصل باحتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة وذلك كما فعلوا مع قرارات الأمم المتحدة لإعادة الكويت لسكانها الشرعيين ، ومن جانبها كان من الممكن أن تشعر الولايات المتحدة بأنها مضطرة للتجاوب مع الفلسطينيين لقيامهم بحرمانه من الارتباط بقضية ارتباطه بها تضمن له تحقيق مصلحته.

وبدلاً من ذلك وباختياره بالانحياز إلى جانب صدام راهن عرفات فقط على فقدان مكانة الفلسطينيين دوليًا وداخل المنطقة، وأدى تأييده الرفيع للزعيم العراقي إلى حدوث صدع في العالم العربي حول المسألة الفلسطينية التي ظلت القضية الإقليمية الرئيسية.

لقد انعزل الفلسطينيون عن السعودية ودول الخليج وذلك ضمن دول أخرى قدموا لهم الدعم طويلاً، كما انعزلوا عن هؤلاء الذين يساندون داعموهم، خاصة بعض الدول الغربية ، وفي موقفهم الحالي لم يعد لدى الفلسطينيين سوى مزيج من التأييد من دول ليس لديها القدرة على إيجاد الوضع الدولي المطلوب لدفع المسألة الفلسطينية إلى مقدمة الأنشطة الدولية عندما تنتهي الحرب.

ولن يتحمل الثمن الفلسطينيون وحدهم، بل ستتحمله المنطقة بأكملها وأي دولة أخرى تشاك في وضع قواعد نظام أمني جديد في المنطقة .

إن الفلسطينيين يعانون من أضرار تحالفهم مع العراق في نزاع الخليج في النواحي المالية، فغزو الكويت نفسه قُدِّر أنه كلف الفلسطينيين حوالي 14 مليار دولار في صورة وظائف ومدخرات تم فقدها، وبالنسبة للفلسطينيين في المناطق المحتلة أدى التحالف مع العراق إلى فقدهم 1.5 مليار دولار في صورة تحويلات كانت تصل إليهم من ذويهم في الخليج، وذلك إضافة إلى فقدهم الدعم المالي السعودي والخليجي.

وأدى التحالف مع العراق إلى المزيد من الاضطراب والنفي الثاني لحوالي 400 ألف فلسطيني كانوا في الكويت وقت وقوع الغزو، وتمثل حرب الخليج ثالث مأساة للفلسطينيين منذ الحرب العالمية الثانية، وحجم إساءة التقدير واضح ، فلماذا إذًا اختار ياسر عرفات مساندة من لا يكون إلا خاسرًا؟

لقد أحس الزعيم الفلسطيني بضغوط متزايدة في الشهور التي سبقت أغسطس ، فقد سبق أن وضع لنفسه موعدًا نهائيًا كزعيم لمنظمة التحرير الفلسطينية في أكتوبر عام 1988 عندما أبلغ المجلس الوطني الفلسطيني بأنه إذا فشلت سياسته في ذلك الوقت بالاعتراف بدولة إسرائيل وشجب الإرهاب ، في تحقيق تقدم حقيقي في غضون عامين فإنه سوف يستقبل .

وقد تم اتخاذ قرار عرفات بالوقوف إلى جانب العراق وذلك لحاجته في أن يعكس المشاعر الشعبية في المناطق المحتلة والأردن، فحتمًا كان الفلسطينيون تحت الاحتلال عرضة لتفسير غزو الكويت.

وتحدث صدام للأمريكيين على أنه وقوف في وجه المصالح الغربية الصهيونية وهو ما قد يقوم بإحداث هزة في القضية العربية ـ الإسرائيلية لإخراجها من الطريق المسدود.

وقد أراد الفلسطينيون من البداية إعادة الكويت لسكانها الحقيقيين وهم الكويتيين ، والتأييد الذي حصل عليه صدام يعد نتيجة لإحباط عميق الجذور والاستياء الذي تسببت فيه إزداجية المعايير الظاهرة من جانب السياسة الخارجية الغربية في الشرق الأوسط، ووُجد التأييد كمفهوم لما قد يقوم بتحقيقه في النهاية لصالح القضية الفلسطينية.

وكان من الواجب على قيادة منظمة التحرير الفلسطينية توجيه شعبها في هذه المرحلة الحيوية، وكان من الواجب عليها تقدير وتعزيز المكاسب السياسية والواضحة تمامًا ويمكن تحقيقها بالانحياز مع غالبية الدول العربية.

إن القيادة الحالية لمنظمة التحرير مسؤولة عن الدفع بالقضية الفلسطينية إلى الوراء لفترة قد تصل إلى سنوات وبدون سياسة خليجية تم مراجعتها ، يجب على هذه القيادة النظر في مسؤولياتها تجاه الفلسطينيين وتحديد ما إذا كانت في أحسن وضع لخدمتهم أم لا، وقد يكون من الواجب أن يخدم نزاع الخليج كعامل مساعد من أجل قيادة جديدة لمنظمة التحرير الفلسطينية يمكن أن تحرك بسرعة عملية تجديد العلاقات داخل دول الخليج وفي المجتمع الدولي بشكله الأوسع.

*** الكاتب هو السفير السابق للجامعة العربية في المملكة المتحدة (1976 ـ 1983) والرئيس الحالي لمركز الخليج للدراسات الاستراتيجية بلندن.**